الشقيري نفسه ذلك ، ولكنه تطلع الى قيادة هذا « الجديد » بنفسه . غير ان الرياح كانت اشد مما احتملت اشرعته ، و« الجديد » المطلوب كان يتجاوز الشكل الى المضمون والرموز . وكان الشقيري رمزا ، ادى قسطه للقضية وللكيان ، وهو قسط كبير ، واكبر مما يستطيعه اي انسان عادي ، ويتجنى على الحق من يغبطه ذلك .

وفي الرابع عشر من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٧ ، تلقى الشقيري مذكرة من اعضاء اللجنة التنفيذية التي شكلها بنفسه ، ليتحدى بها معارضيه ، يطلبون منه فيها التنحي عن منصب رئاسة المنظمة . وهكذا صار ، غير ان الشقيري ، وهذا ما كان متوقعا منه ، قدم استقالته ووجهها الى الشعب لا الى اللجنة . وكان ذلك في الخامس والعشرين من الشهر نفسه ، وبعد ان تأكد من انه لم يعد امامه من مخرج او سبيل . وباستقالته هذه دخلت المنظمة عهدا جديدا هو عهد التنظيمات الفدائية . اذ كان يستحيل على من كانوا معه ، وهم على شاكلته ، ان يستمروا من بعده . وهكذا ، لم تمض اشهر قليلة حتى استقال يحيى حموده وتسلم ياسر عرفات رئاسة المنظمة وقيادة القوات الثورية المسلحة ، وتم بذلك زواج الشرعية الفلسطينية بالثورية الفلسطينية .

وبعد ،

فلقد ظننت في بداية حديثي اني اكتب رثاء ، فاذا بي انتهي الى تسجيل سريع لسيرة الراحل بما لها وما عليها . ولكن هل كان يمكنني غير ذلك ؟ أوليست سيرته ، بما لها وما عليها ، خير ما يمكن ان يقال في مجال رثائه ؟ وما يهمه لو انقسم الرأي من حوله ؟ اوليست تلك هي العادة حول كل الاقوياء او الكبار ؟ وماذا يضيره لو قال فيه زيد او عمرو كلمة نقد هنا او هناك وهو الذي كانت تلتف من حوله مئات الالوف من ابناء شعبه ، وهو الذي يوم رحل ترك كل فلسطيني يشعر وكأن فلسطين سقطت يوم رحيله !

رحم الله ابا مازن الشقيري ، فلقد كان راية وصرخة مدوية ، فهو وان مضى ، سيبقى كذلك في ضريحه في الاغوار على بعد كيلومترات من وطنه ، ومن حوله اضرحة القادة من ابطال العرب والمسلمين الذين كانت سيرهم من اهم مصادر الهامه .

وان بدوت للبعض اني قد قسوت ، فعذري اني احترمت الرجل فأردت انصافه بقول ما آمنت به حقا ، فلم انسب اليه خيرا لم يكن فيه وحاشى ان يكون « شرا » ما اختلفنا معه فيه .